أم المنذر

رضي الله عنها

obeikandl.com

obeikandl.com

أم المنذر

والدها: قيس بن عمرو وأمها: رغيبة بنت زرارة وأخوها سليط بن قيس وهو أحد البدريين، وقد ظفر بالشهادة في معركة جسر أبي عبيد، أما زوجها فيدعى: قيس بن صعصعة وقد أنجبت له ولده المنذر الذي تكنى به، واسمها: سلمى.

قال: متى أسلمت أم المنذر يا أبي؟

قلت: كانت أم المنذر من أوائل المسلمات الأنصاريات في المدينة، الذين قال الله تعالى فيهن: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

دخلت أم المنذر رحاب الإسلام بعد وصول مصعب بن عمير إلى المدينة سفيراً لرسول الله ﷺ ليعلم أهلها أحكام الإسلام ويفقههم في الدين الجديد، ويقرأ عليهم كتاب الله سبحانه وتعالى.

فقد سمعت أم المنذر بنزول مصعب ضيفاً على أسعد بن زرارة فأسلمت مع أخيها سليط بن قيس وأختيها أم سليم وعميرة.

ثم أقبلت على رسول الله ﷺ في نسوة من الأنصار حتى

يبايعنه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وها هي ذي أم المنذر تحدثنا عن مبايعة نساء الأنصار لرسول الله ﷺ فتقول:

جئت رسول الله ﷺ في نسوة من الأنصار، فلما شرط علينا أَلَّا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف قال: «**ولا تغششن أزواجكن**»، قالت: فبايعناه ثم انصرفنا.

فقلت لامرأة منهن: ارجعي فسلي رسول الله ﷺ: ما غِشُّ أزواجنا؟

قالت: فسألته، فقال: «**تأخذ ماله فتحابي به غيره**» - أي تهادي بمال زوجها غيره -.

وخرجت أم المنذر من لقائها برسول الله ﷺ، وهي أسعد ما تكون بعد أن حدد لها رسول الله ﷺ ولأخواتها خطة مسيرتهن في الحياة، ومبدأ تعاملهن مع أزواجهن.

قال: وماذا كان من أمر أم المنذر بعد ذلك يا أبي؟

قلت: أَكَبَّت أم المنذر تنهل من كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ ما شاء الله لها أن تنهل، وبعد أن توفرت لديها حصيلة طيبة، أخذت تروي عن رسول الله ﷺ أحاديثه.

وذكر صاحب أعلام النساء، وصاحب تهذيب التهذيب، وصاحب الاستيعاب أن بعض رواة حديث رسول الله ﷺ أمثال: يعقوب بن أبي يعقوب المدني، وأم سليط بن أيوب بن الحكيم، وأيوب بن عبد الرحمٰن، قد رووا عنها بعض ما وعته من أحاديث المصطفى ﷺ.

قال: وهل كانت أم المنذر كريمة يا أبي؟

قلت: إن البخل ليس من أخلاق المؤمنين، ولا من طباعهم، وكان رسول الله ﷺ يزورها في بيتها ـ في بعض الأحايين ـ ويأكل من طعامها برفقة بعض صحابته الكرام، وكان ﷺ يصف طعامها بالبركة ويقول عنه: إنه ذو نفع ـ وقد جاء في سنن أبي داود في رواية عن أم المنذر بنت قيس الأنصارية أنها قالت:

دخل عليَّ رسول الله ﷺ، ومعه عليٌّ عليه السلام، وعليٌّ ناقِهٌ ـ: أي: مريض يتماثل للشفاء ـ ولنا دوالٍ معلقة، فقام رسول الله ﷺ يأكل منها، وقام عليٌّ ليأكل، فطفق رسول الله ﷺ يقول لعليٍّ: مَهْ ـ أي: كُفَّ ـ إنك ناقه، حتى كفَّ عليٌّ عليه السلام، قالت: وصنعتُ شعيراً وسلقاً، فجئت به فقال رسول الله ﷺ: «**يا علي أصب من هذا فهو أنفع لك**».

وجاء في صحيح أبي عبد الله البخاري رحمه الله تعالى فيما رواه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال:

كانت منا امرأة تجعل في مزرعة لها سِلْقاً، فكانت إذا كان يوم الجمعة تنزع أصول السلق، فتجعله في قدر، ثم تجعل قبضة من شعير تطحنه، فتكون أصول السلق عَرْقة.

قال سهل: كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة، فنسلِّم

عليها، فتقربُ ذلك الطعام إلينا، فكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك، وفي رواية: ليس فيها شحم ولا وَدَكٌ - أي: دَسَمٌ - وكنا نفرح بيوم الجمعة، ولعل تلك الصحابية المضياف كانت أم المنذر متَّعها الله بالجنة.

قال: ليتك تخبرني يا أبي بشيء عن فضل أم المنذر!.

قلت: اسمع يا بني، كانت أم المنذر كما علمت سباقة إلى الإسلام، فعالة للخير، مطعمة للأضياف، سخية ذات يد معطاء، وقد أسعفها جِدُّها واجتهادها أن تحصل على لقب: «ذات البيعتين».

أما كيف كان ذلك؟ فقد حدثتك قبلُ عن مبايعتها مع نساء الأنصار لرسول الله ﷺ بعد أن اختارت الإسلام ديناً لها، فكانت تلك بيعتها الأولى، وكانت بيعتها الثانية «بيعة الرضوان» تحت الشجرة، وذلك في السنة السادسة للهجرة النبوية، حين أراد رسول الله ﷺ أن يزور مع أصحابه البيت الحرام ويطوف به.

فقد خرج ﷺ بالمسلمين يقصدون مكة لهذا الغرض، فجمعت له قريش جموعها وحشدت حشودها، وأرسلت رسولاً عنها يتحرى لها وليخبرها بما يريده المسلمون، ورجع رسول قريش يعلمها أن الرسول ﷺ وأصحابه لا يريدون شراً، ولا يرغبون إلا زيارة البيت وتعظيم حرمته.

غير أن قريشاً أبت أن تسمح بتلك الزيارة، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليرسله إلى قريش ويخبرهم بما خرجوا له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش

عداوتي إياها، وغلظتي عليها، فلو بعثت عثمان بن عفان فهو أعز بها مني.

وبعث رسول الله ﷺ عثمان فلما دخل مكة أجاره أبان بن سعيد بن العاص حتى بلغ قريشاً رسالة رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، قال عثمان: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، فاحتبسوه عندهم ثم بَلَغَ رسول الله ﷺ والمسلمين أنهم قتلوه، فقال ﷺ: «**لا نبرح حتى نناجز القوم**»، ودعا الناس إلى البيعة، وكانت تلك بيعة الرضوان، وقد بايع فيها من المسلمين رسولَ الله ﷺ أربع عشرة مائة، وتخلف عن البيعة الجد بن قيس الأنصاري؛ لأنه كان من المنافقين.

ونالت أم المنذر مرضاة الله إذ بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة مع سائر المبايعين، ونزل فيهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفتح: ١٨ ـ ٢٠].

ووقف رسول الله ﷺ تحت شجرة سَمُرة، وأسرع الناس إليه ليبايعوه، وكانت أم المنذر وهي خالة لرسول الله ﷺ؛ لأنها إحدى نساء بني النجار، وصواحبها في عداد المبايعين، ففازت برضاء الله، وكانت لها البشرى العظيمة، بإبعاد جسدها عن النار، وإدخالها الجنة مع الأبرار، قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٨ ـ ٨٩].

وقال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**».

إنها أعظم بشرى، وأفضل تكريم يدركه أحد في هذه الحياة الفانية ليحيا في نعيم دائم لا ينقطع في الحياة الباقية في دار تجمع الأبرار والمتقين، من عباد الله الصالحين.

وقد روى جابر حديثاً عن رسول الله ﷺ أن عبداً لحاطب بن أبي بلتعة جاء يشكوه إلى النبي ﷺ ويقول: ليدخلن حاطب النار، فقال له الرسول ﷺ: «**كذبت لا يدخلها، شهد بدراً والحديبية**».

فهنيئاً لأهل بدر، وهنيئاً للمبايعين تحت الشجرة التي وقتهم عذاب جهنم ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥ ـ ٦٦].

قال ولدي: ألا تحدثني عن جهاد أم المنذر يا أبي؟

قلت: بلى يا بني! كانت أم المنذر ونساء الأنصار يخرجن إلى ساحات القتال مع رسول الله ﷺ، يشاركن الرجال جهادهن لأعداء الله، فيداوين الجرحى، ويسقين العطاش، ويحملن لهم الطعام.

وكان صَنِيعُهن موضع تقديرٍ من رسول الله ﷺ لهن وإكبارهن، وربما خصَّهن ببعض المكرمات، وكان لأم المنذر نصيب منها وذلك عقب غزوة الخندق.

كانت قريش قد حَزَّبت الأحزاب واتفقت مع بعض القبائل، ودسَّت إلى يهود بني قريظة من يقنعهم بنقض عهدهم مع رسول الله ﷺ، فاستجاب اليهود إلى رغبة قريش، فليس أسبق منهم إلى نقض العهود، وخيانة المواثيق.

وأرسل الله بعض جنوده الذين لا يعلمهم إلا هو عوناً لرسوله ﷺ، وهبَّت ريح عاتية قلبت قدور المشركين وأطفأت نيرانهم وهدمت بنيانهم، فانقلبوا إلى مكة هاربين بدعوة من زعيمهم أبي سفيان بن حرب، وعاد رسول الله ﷺ بالمسلمين إلى المدينة، وجاء جبريل إلى رسول الله ﷺ وقال له:

إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة، ونادى منادي رسول الله ﷺ في المسلمين: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة.

وخرجت أم المنذر رضي الله عنها لأداء واجبها مع صواحبها، وحوصر بنو قريظة خمسة وعشرين يوماً، ثم استأسروا للمسلمين، وحَكَّم رسول الله ﷺ سعد بن معاذ فيهم، وكان حليفاً لهم في الجاهلية.

وأصدر سعد حكمه العادل في ناكثي عهد رسول الله ﷺ أن يقتل الرجال، وتسبى النساء والأطفال، وتؤخذ الأموال.

وسر رسول الله ﷺ بحكم سعد؛ لأنه حكم الله من فوق سبع سماوات، وعرض الرجال على القتل، وأقبل ثابت بن قيس إلى رسول الله ﷺ، وكان خطيبه، وسأله أن يهب له الزبير بن باطا وأهله وماله ففعل، غير أن الزبير أقسم على ثابت أن يلحقه بأحبته من اليهود، فقتله، ثم أقبلت الخالة أم المنذر إلى رسول

الله ﷺ، واستوهبته رفاعة بن سموأل القرظي الذي تشفع بها؛ لأنه كان يتردد على أخيها سليط بن قيس، فقالت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، إن رفاعة بن سموأل كان يزورنا وله بنا حرمة، فهبه لي، وكان رفاعة خال صفية أم المؤمنين رضي الله عنها.

ولم يخيب رسول الله ﷺ رجاءها فقال لها: «**نعم هو لك**».

فقالت: يا رسول الله، إنه يصلي ويأكل لحم الجمل.

وأشرق وجه الحبيب الأعظم، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساحرة، فقال: «**إن يُصَلِّ فهو خير له وإن يثبت على دينه فهو شر له**».

وأنقذت أم المنذر رقبة رفاعة من القطع، ثم أعلن إسلامه، وأخذ الناس يقولون: إن رفاعة مولى أم المنذر فانقطع عن زيارة دارها، فبعثت في طلبه، ولما جاء قالت له: لست بمولاة لك غير أني سألت رسول الله ﷺ أن يهبك لي ففعل، وقد حقنت دمك وأنت على نسبك، فلما سمع ذلك عاد إلى زيارتها.

واختار رسول الله ﷺ من سبي بني قريظة ريحانة بنت زيد فعرض عليها الإسلام فأبت أول الأمر ثم وافقت، فلما أسلمت أعتقها رسول الله ﷺ، ثم تزوجها في بيت أم المنذر رضي الله عنها.

قال: وماذا كان من أمر سليط بن قيس أخي أم المنذر يا أبي؟

قلت: كان سليط بطلاً مغواراً، يملك جرأة فذة، وشجاعة نادرة، ولم تخف بطولته يوم «بدر» على أحد، فقد أبلى سليط في تلك المعركة أحسن البلاء، واستبسل استبسالاً رائعاً، وروَّى

سيفه من دماء المشركين وألحق بهم أفدح الخسائر.

ومن حق سليط أن يفخر بحضور تلك الموقعة التي استؤصلت فيها رؤوس الشرك، من زعماء قريش الذين نالوا بأذاهم رسول الله ﷺ والمسلمين، وأنزلوا بالمستضعفين منهم عذاباً أليماً، لكنهم ذاقوا وبال أمرهم، وحصدوا ما زرعوه، وكانت نهايتهم في قعر بئر «بدر» المظلمة، ألقوا فيها بعد أن أمر رسول الله ﷺ أصحابه برميهم فيها.

وقد ترك ذلك في نفوس القرشيين جرحاً عميقاً لا يندمل؛ لأنهم لم يستطيعوا نقل قتلاهم إلى مكة لدفنهم ليتسنى لهم زيارتهم بين حين وحين.

وتابع سليط جهاده، وكانت استجابته لداعي الجهاد قوية، فما إن يسمع النداء حتى يكون في طليعة الملبين.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال حين بعث أبا عبيد إلى العراق: يا أبا عبيد، إنه لم يمنعني أن أستعمل سليط بن قيس إلا أنه رجل يتسرع إلى الحرب، ولا يصلح للحرب إلا الرجل المتأني، فأخاف أن يوقع المسلمين في موقع يهلكهم، فاستشره واسمع منه.

وسار أبو عبيد بجيشه، ومعه سليط بن قيس حتى إذا اعترضهم نهر الفرات، سأل أبو عبيدة أصحابه الرأي، فأجاب سليط: إن فارس قد حشدت حشداً عظيماً وزوّدتهم بعدة هائلة ليس لها نظير، مما لم تألفه العرب من قبل، فاجعل يا أبا عبيد ملجأً ومرجعاً يرجعون إليه من هزيمة إن كانت، فقال أبو عبيد، لا والله لا أفعل، وما أراك إلا قد جبنت يا سليط قال سليط:

لا والله ما جبنت، ولست بأجرأ منك نفساً وقبيلاً، غير أني أشرت بالرأي، وأبى أبو عبيد وأقسم ليقطعن الفرات عند الجسر، وأمر الناس بقطعه، واشتد القتال، فحمل أبو عبيد على فيل فضرب مشفره، لكن الفيل قضى عليه، ولاذ الجند بالفرار، وصمد سليط حتى استشهد رحمه الله ثم انحاز المثنى ببقية الناس، فلما أقبلوا على عمر قال لهم: لا تجزعوا يا معشر المسلمين، أنا فئتكم إنما انحزتم إلي، ثم أمدهم بمدد عظيم فنالوا من عدوهم ما يشتهون، وعلم الناس أن رأي سليط لم يَعْدُ الصواب.

رحم الله أم المنذر وأخاها سليطاً وجزاهما عن الإسلام خير الجزاء.